القائمة تبدو وكأنها قواعد طبيعية **وبديهيات** . وانطلاقا من هنـــا يتم تكريس الواقع وتقديس التقاليد ويصبح كل تساؤل أو شك كفرا فظيعا .

ان هذا الحصار الثقافي الذي يريد أن يحصر الاطراف الاجتماعية العاملة ضمن شبكة من الانماط المفروضة هو ، الى حد كبير ، من انتاج « **وسائل الاعلام والاتصال** » . من هنا جاءت ضرورة كشف ، على الصعيد النظري والمنهجي ، طرف عمل الايديولوجية كما تبدو في كتابات الصحفيين والمذيعين والسينمائيين وفضح التحويرات التي تحدثها في الوقائع المحسوسة . لقد أردنا أن نظهر كيف ان هذا المنطق الايديولوجي ينتج معنى وهميا للعلاقات الاجتماعية فيضفي عليها الشرعية ويبررها ويعبىء الجمهور ويؤطر عمله ويوجهه وفق الاتجاه الذي يتناسب مع أمنيات الطبقة المسيطرة وحاجاتها .

ان دراسة منظمة للانتاج الايديولوجي للطبقة المسيطـــرة لا بد وأن يقودنا الى طرح سؤال أساسي : كيف تساهم الايديولوجية المسيطرة في الابقاء والمحافظة على العلاقات الاجتماعية للسيطرة العالمية واعادة انتاج هذه العلاقات ؟ ان القضية ، بالنسبة الى الحالة الخاصة التي ندرسها هنا الآن ، هي معرفة كيف يساهم المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام في ادامة العلاقات الامبريالية بين الغرب والعـــالم العربي وعلاقات السيطرة التي يمارسها الصهاينة في فلسطين .

لقد أتاح لنا هذا البحث توضيح **التحالف العميق بين الصهيونية والطبقات الامبريالية** . ويعبر هذا التحالف عن ذاته أيضا في المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام . ان تحليلا قصيرا **للايديولوجية الصهيونية** ، استنادا الى المبادىء التي ذكرناها أعلاه ، يكفي لاظهار هذا التحالف . ان منطق الصحافة الذي حللناه أعلاه يعالج بالضبط نفس المقولات كما يعالجها المنطق الايديولوجي الصهيوني . فلنحلل هذا الاخير :

١ ـــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل ايديولوجية الطبقة الامبريالية ، قد أنتجت ، منذ بداية استيطان فلسطين ، غطاء شرعيا للعلاقات الاجتماعية وذلك بعرضها على الاطراف المعنية **تحديدا خياليا** لانفسهم وللطرف الآخر ، تحديدا كان يبدو طبيعيا ، اكيدا وعاديا ومقبولا من الذين كان يوجه اليهم هذا المنطق . وهكذا فان الصهاينة كانوا يظهرون أنفسهم كرسل مدنية في حـــين ان الفلسطينيين كانوا يوصفون ضمنيا بأنهم برابرة . وقد كتب هرتزل ، مؤسس الصهيونية : « بالنسبة الى أوروبا ، سنبني هناك جزءا من الحصن الذي يقف في وجه آسيا وسنكون حارسا متقدما للمدنية ضد البربرية» . لقد كان هذا التصريح يتناسب تماما مع روح ذلك العصر . ذلك ان الشعور بالتفوق الاوروبي كان قد زرع في العقول فكرة ان كل أرض خارج أوروبا يمكن أن تكون مكانا قابلا للاحتلال الاوروبي . كان لا بد من ايجـــاد أرض فارغة . وفارغة هنا لا تعني بالضرورة الغياب الحقيقي للسكان بل نوع من « الفراغ الثقافي » . وكما كان يقول مترنيخ فقد كان بالامكان ، خارج حدود المدنية ، زرع « مستعمرات » أوروبية وسط شعوب متخلفة دون أن يكون هذا ضدها ، بكل حرية لان هذه المستعمرات لا يمكن أن تكون الا « أقطاب تنمية وتطور » .

بالاضافة الى ذلك كانت الايديولوجية الصهيونية تحـــدد الفلسطينيين بأنهم **حساسية سياسية** وليس كقضية انسانية وقضية ضمير . ان وجود العرب ، في نظرهم ، لم يكن الا أمرا **عارضا** تماما كما هي الحال بالنسبة الى بعض قطع الاثاث التي ينساها أصحابها في شقة أجرت بشكل مؤقت الى غرباء . . . لقد كان الصهاينة يطلبون من العرب أن « يظلوا ساكتين » وأن ينظروا اليهم ، دون أن يبدوا حراكا ، وهم يستولون على بلدهم ويحكمونه **بكفاءة ومقدرة** لمصلحة الجميع . وهكذا فان الايديولوجية الصهيونية تصف اليهودي الذاهب الى فلسطين كـ « ممدن ، كفوء وكريم » لانه يأتي اليها للعمل لمصلحة